بسم الله الرحمن الرحيم

بلوغ المرام من كتاب نظام الإسلام

(ح46) كيف نظم الإسلام الغرائز والحاجات العضوية؟

الحَمْدُ للهِ ذِي الطَّولِ وَالعَامْ، وَالفَضْلِ وَالإِكرَامْ، وَالرُّكْنِ الَّذِي لا يُضَامْ، وَالعِزَّةِ الَّتِي لا تُرَامْ، والصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَيرِ الأَنَامِ، خَاتَمِ الرُّسُلِ العِظَامْ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَتبَاعِهِ الكِرَامْ، الَّذِينَ طَبَّقُوا نِظَامَ الإِسلامْ، وَالتَزَمُوا بِأَحْكَامِهِ أَيَّمَا التِزَامْ، فَاجْعَلْنَا اللَّهُمَّ مَعَهُمْ، وَاحشُرْنا فِي زُمرَتِهِمْ، وثَبِّتنَا إِلَى أَنْ نَلقَاكَ يَومَ تَزِلُّ الأَقدَامُ يَومَ الزِّحَامْ.

أيها المؤمنون:

السَّلامُ عَلَيكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ وَبَعدُ: نُتَابِعُ مَعَكُمْ سِلْسِلَةَ حَلْقَاتِ كِتَابِنا "بلوغ المرام من كتاب نظام الإسلام" وَمَعَ الحَلْقَةِ السَّادِسَةِ وَالأربَعِينَ، وَعُنوَانُهَا: "كَيفَ نَظَّمَ الإِسلامُ الغَرَائِزَ وَالحَاجَاتِ العُضْوِيَّةَ". نَتَأَمَّلُ فِيهَا مَا جَاءَ فِي الصَّفحَةِ الثَّانِيَةِ وَالثَّلاثِينَ مِنْ كِتَابِ "نظَامِ الإِسلامِ" لِلعَالِمِ وَالمُفَكِّرِ السِّيَاسِيِّ الشَّيخِ تَقِيِّ الدِّينِ النَّبهَانِيِّ.

يَقُولُ رَحِمَهُ اللهُ: "أَمَّا الحَاجَاتُ العُضوِيَّةُ وَالغَرَائِزُ فَقَدْ نَظَّمَهَا الإِسلامُ تَنظِيمًا يَضْمَنُ إِشبَاعَ جَمِيعِ جَوْعَاتِهَا، مِنْ جوعَةِ مَعِدَةٍ، أَوْ جوعَةِ نَوْعٍ، أَوْ جَوْعَةٍ رُوحِيَّةٍ، أَوْ غَيرِ ذَلِكَ. وَلَكِنْ لا بِإِشبَاعِ بَعضِهَا عَلَى حِسَابِ بَعْضٍ، وَلا بِكَبْتِ بَعضِهَا وَإِطلاقِ بَعْضٍ، وَلا بِإِطلاقِهَا جَمِيعِهَا، بَلْ نَسَّقَهَا جَمِيعَهَا وَأَشْبَعَهَا جَمِيعَهَا بِنِظَامٍ دَقِيقٍ، مِمَّا يُهَيِّئُ لِلإِنسَانِ الهَنَاءَةَ وَالرَّفَاهَ، وَيَحُولُ بَينَهُ وَبَينَ الانْتِكَاسِ إِلَى دَرْكِ الحَيَوَانِ بِفَوْضَوِيَّةِ الغَرَائِزِ. وَلِضَمَانِ هَذَا التَّنظِيمِ، يَنظُرُ الإِسلامُ لِلجَمَاعَةِ بِاعتِبَارِهَا كُلاً غَيرَ مُجَزَّأٍ، وَيَنظُرُ لِلفَردِ بِاعتِبَارِهِ جُزْءًا مِنْ هَذِهِ الجَمَاعَةِ غَيرَ مُنفَصِلٍ عَنْهَا. وَلَكِنَّ كَونَهُ جُزْءاً مِنَ الجَمَاعَةِ لا يَعنِي أَنَّ جُزْئِيَّتَهُ هَذِهِ كَجُزْئِيَّةِ السِّنِّ فِي الدُّولابِ، بَلْ يَعنِي أَنَّهُ جُزْءٌ مِنْ كُلٍّ، كَمَا أَنَّ اليَدَ جُزءٌ مِنَ الجِسْمِ، وَلِذَلِكَ عُنِيَ الإِسلامُ بِهَذَا الفَردِ بِوَصْفِهِ جُزْءاً مِنَ الجَمَاعَةِ، لا فَردًا مُنفَصِلاً عَنهَا، بِحَيثُ تُؤَدِّي هَذِهِ العِنَايَةُ لِلمُحَافَظَةِ عَلَى الجَمَاعَةِ، وَعُنِيَ فِي نَفْسِ الوَقْتِ بِالجَمَاعَةِ لا بِوَصْفِهَا كَلاً لَيسَ لَهُ أَجْزَاءٌ بَلْ بِوَصْفِهَا كُلاً مُكَوَّنَاً مِنْ أَجزَاءٍ هُمُ الأَفرَادُ بِحَيثُ تُؤَدِّي هَذِهِ العِنَايَةُ إِلَى الْمُحَافَظَةِ عَلَى هَؤُلاءِ الأَفرَادِ كَأَجْزَاءٍ، قالَ صلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُوْدِ اللهِ والوَاقِعِ فِيْهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِيْنَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاهَا وبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوْا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوْا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيْبِنَا خَرْقَاً ولَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ تَرَكُوْهُمْ وَمَا أَرَادُوْا هَلَكُوْا جَمِيْعَاً، وَإِنْ أَخَذُوْا عَلَى أَيْدِيْهِمْ نَجَوا ونَجَوا جَمِيْعًا»".

مبدأ الإسلام	
تنظيم الإسلام للحاجات العضوية والغرائز	
تنظيم الحاجات العضوية والغرائز	١. نظم الإسلام الحاجات العضوية والغرائز تنظيمًا يضمن إشباع جميع جوعاتها: ١) جوعة المعدة إلى الطعام والشراب: نظمها بتناول المطعومات والمشروبات التي أحلها الله وتم الحصول عليها من مصدر مباح. ٢) جوعة النوع إلى الغريزة الجنسية: نظمها الإسلام بالزواج الشرعي. ٣) الجوعة الروحية إلى غريزة التدين: نظمها الإسلام بتقديس الخالق وعبادة الله وحده. ٢. لم يشبع الإسلام بعض هذه الجوعات على حساب بعض، ولا بكبت بعضها وإطلاق بعض، ولا بإطلاقها جميعها. ٣. بل نسقها وأشبعها جميعها بنظام دقيق يهيئ للإنسان الهناءة والرفاه، ويحول بينه وبين الانتكاس إلى درك الحيوان بفوضوية الغرائز.
نظرة الإسلام للفرد والمجتمع تضمن تنظيم الحاجات العضوية والغرائز تنظيما يشبع جميع جوعاتها	١. ينظر الإسلام للجماعة باعتبارها كلاً لا يتجزأ. ٢. ينظر الإسلام للفرد باعتباره جزءًا من الجماعة غير منفصل عنها. ٣. كونه جزءًا من الجماعة لا يعني أن جزئيته كجزئية السن في الدولاب، بل هو جزء من كل كما أن اليد جزء من الجسم. ٤. عني الإسلام بالفرد بوصفه جزءًا من الجماعة، لا فردًا منفصلا عنها بحيث تؤدي هذه العناية للمحافظة على الجماعة. ٥. وعني في الوقت نفسه بالجماعة لا بوصفها كلا ليس له أجزاء، بل بوصفها كلا مكونًا من أجزاء هم الأفراد بحيث تؤدي هذه العناية إلى المحافظة على هؤلاء الأفراد بوصفهم أجزاء.

وَنَقُولُ رَاجِينَ مِنَ اللهِ عَفْوَهُ وَمَغْفِرَتَهُ وَرِضْوَانَهُ وَجَنَّتَهُ: لَقَدْ جَاءَ الإِسلامُ رَحمَةً لِلعَالَمِينَ، وَجَاءَتْ شَرِيعَةُ الإِسلامِ بِنِظَامٍ شَامِلٍ يُعَالِجُ جَمِيعَ شُؤُونِ الإِنسَانِ، وَمِنهَا إِشبَاعُ الحَاجَاتِ العُضوِيَّةِ وإشباع الغرائز إِشبَاعًا كَامِلاً يُحَقِّقُ لِلإِنسَانِ السَّعَادَةَ وَالهَنَاءَ فِي الدُّنيَا، وَيُحَقِّقُ لَهُ الرِّضَا وَالقَبُولَ عِندَ اللهِ، وَالفَوزَ بِنَعِيمِ الجَنَّةِ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ لِعِبَادِهِ المُتَّقِينَ. يُحَدِّثُنَا الشَّيخُ تَقِيُّ الدِّينِ – رَحِمَهُ اللهُ – عَنْ كَيفِيَّةِ تَنظِيمِ الإِسلامِ لِلغَرَائِزِ وَالحَاجَاتِ العُضوِيَّةِ، وَيُمكِنُ أَنْ نُلَخِّصَ مَا قَالَهُ فِي هَذَا الشَّأنِ بِالبُنُودِ الآتِيَةِ:

1. نَظَّمَ الإِسلامُ الحَاجَاتِ العُضوِيَّةَ وَالغَرَائِزَ تَنظِيمًا يَضْمَنُ إِشبَاعَ جَمِيعِ جَوْعَاتِهَا.
2. أبرَزُ الجَوعَاتِ ثلاثة: جَوعَةِ مَعِدَةٍ، أَوْ جَوعَةِ نَوْعٍ، أَوْ جَوْعَةٍ رُوحِيَّةٍ.
3. كَيفِيَّةُ إِشبَاعِ الإِسلامِ لِلغَرَائِزِ وَالحَاجَاتِ العُضْوِيَّةِ:
   1) لَمْ يُشْبِعِ الإِسلامُ هَذِهِ الجَوعَاتِ بِإِشبَاعِ بَعضِهَا عَلَى حِسَابِ بَعْضٍ.
   2) وَلا بِكَبْتِ بَعضِهَا وَإِطلاقِ بَعْضٍ، وَلا بِإِطلاقِهَا جَمِيعِهَا،
   3) بَلْ نَسَّقَهَا جَمِيعَهَا وَأَشْبَعَهَا جَمِيعَهَا بِنِظَامٍ دَقِيقٍ، مِمَّا يُهَيِّئُ لِلإِنسَانِ الهَنَاءَةَ وَالرَّفَاهَ، وَيَحُولُ بَينَهُ وَبَينَ الانْتِكَاسِ إِلَى دَرْكِ الحَيوَانِ بِفَوْضَوِيَّةِ الغَرَائِزِ.
4. الإِجرَاءَاتُ الَّتِي اتَّخَذَهَا الإِسلامُ لِضَمَانِ تَنظِيمِ إِشبَاعِ الغَرَائِزِ وَالحَاجَاتِ العُضوِيَّةِ هِيَ:
   1) يَنظُرُ الإِسلامُ لِلجَمَاعَةِ بِاعتِبَارِهَا كُلاً غَيرَ مُجَزَّأٍ.
   2) وَيَنظُرُ لِلفَردِ بِاعتِبَارِهِ جُزْءاً مِنْ هَذِهِ الجَمَاعَةِ غَيرَ مُنفَصِلٍ عَنْهَا.

3) كَونُ الفَردِ جُزْءًا مِنَ الجَمَاعَةِ لا يَعنِي أنَّ جُزْئِيَّتَهُ هَذِهِ كَجُزْئِيَّةِ السِّنِّ فِي الدُّولابِ.
4) كَونُ الفَردِ جُزْءًا مِنَ الجَمَاعَةِ يَعنِي أنَّهُ جُزْءٌ مِنْ كُلٍّ، كَمَا أنَّ اليَدَ جُزءٌ مِنَ الجِسْمِ.
5) عُنِيَ الإسلامُ بِالفَردِ بِوَصْفِهِ جُزْءًا مِنَ الجَمَاعَةِ، لا فَردًا مُنفَصِلاً عَنهَا.
6) عُنِيَ الإسلامُ بِالفَردِ بِحَيثُ تُؤَدِّي هَذِهِ العِنَايَةُ لِلمُحَافَظَةِ عَلَى الجَمَاعَةِ.
7) وَعُنِيَ فِي الوَقْتِ نَفْسِهِ بِالجَمَاعَةِ لا بِوَصْفِهَا كَلاً لَيسَ لَهُ أجْزَاءٌ بَلْ بِوَصْفِهَا كُلاً مُكَوَّنَاً مِنْ أجزَاءٍ هُمُ الأفرَادُ.
8) عُنِيَ الإسلامُ بِالجَمَاعَةِ بِحَيثُ تُؤَدِّي هَذِهِ العِنَايةُ إِلَى الْمُحَافَظَةِ عَلَى هَؤُلاءِ الأفرَادِ كَأجْزَاءٍ.

5. فِي خِتَامِ حَدِيثِهِ عَنْ هَذَا الموضُوعِ يُورِدُ الشَّيخُ حَدِيثًا نَبَوِيًّا شَرِيفًا يُصَوِّرُ فِيهِ نَبِيُّنَا الكَرِيمُ الْمُجتَمَعَ المسلِمَ فِي تَعَاوُنِهِ عَلَى تَنفِيذِ أوَامِرِ اللهِ، وَاجتِنَابِ نَوَاهِيهِ تَصوِيرًا تَمْثِيلِيًّا رَائِعًا يُقَرِّبُ فِكرَةَ ضَرُورَةِ الأمرِ بِالمعرُوفِ وَالنَّهيِ عَنِ المنكَرِ إِلَى الأذهَانِ وَيُرَسِّخُهَا فِي العُقُولِ، وَهُمْ يَأخُذُونَ عَلَى أيدِي العُصَاةِ وَالمفسِدِينَ الخَارِجِينَ عَلَى أحْكَامِ الإسلامِ، لِيَحمُوا الْمُجتَمَعَ مِنَ انتِشَارِ الفَوَاحِشِ وَالرَّذَائِلِ، حَيثُ شَبَّهَ النَّبِيُّ عَلَيهِ الصلاة والسَّلامُ أفرَادَ الْمُجتَمَعِ كَمَثَلِ قَومٍ اقتَرَعُوا فِيمَا بَينَهُمْ وَهُمْ عَلَى ظَهرِ سَفِينَةٍ فِي عُرضِ البَحْرِ، فَخَرَجَتْ نَتِيجَةُ القُرعَةِ أنْ كَانَ نَصِيبُ بَعضِهِمْ أنْ يَركَبَ فِي أسْفَلِ السَّفِينَةِ، وَنَصِيبُ الآخَرِينَ أنْ يَركَبُوا فِي أعْلاهَا، وَكَانَ الَّذِينَ فِي أسفَلِهَا إِذَا أرَادُوا الحُصُولَ عَلَى الماءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوقَهُمْ، فَفَكَّرُوا فِي طَرِيقَةٍ لِلحُصُولِ عَلَيهِ بِأنْ يَخْرِقُوا خَرقًا فِي قَاعِ السَّفِينَةِ حَتَّى لا يُزعِجُوا مَنْ هُمْ فَوقَهُمْ في أعلاهَا، فَإنْ تَرَكُوهُمْ يَخرِقُونَهَا، هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإنْ أخَذُوا عَلَى أيدِيهِمْ وَمَنَعُوهُمْ مِنْ خَرقِهَا نَجَوا وَنَجَوا جَمِيعًا. وَهَكَذَا شَأنُ الْمُجتَمَعِ، فَإنَّ الحُصُولَ عَلَى الماءِ بِخَرقِ السَّفِينَةِ يُمَثِّلُ الحُصُولَ عَلَى إشبَاعِ الغَرَائِزِ وَالحَاجَاتِ العُضوِيَّةِ وَتَلبِيَةِ شَهَوَاتِ وَرَغَبَاتِ النَّفسِ البَشَرِيَّةِ بِخَرقِ الأحكَامِ الشَّرعِيَّةِ وَمُخَالَفَتِهَا، وَهُنَا يَأتِي دَورُ المصلِحِينَ الآمِرِينَ بِالمعرُوفِ وَالنَّاهِينَ عَنِ المنكَرِ، فَإنْ تَرَكُوهُمْ يَفعَلُونَ مَا يَشَاءُونَ من المعاصي والآثام هَلَكُوا وَهَلَكُوا جَمِيعًا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، أي هَلَكَ الطَّائِعُونَ قَبلَ العَاصِينَ، وَإنْ أخَذَ هَؤُلاءِ الآمِرُونَ بِالمعرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ المنكَرِ عَلَى أيدِي هَؤُلاءِ العَاصِينَ لأوَامِرِ اللهِ وَمَنَعُوهُم مِنَ ارتِكَابِ مَعَاصِيهِمْ نَجَوا وَنَجَوا جَمِيعًا، وَسَارَتْ بِهِمْ سَفِينَةُ النَّجَاةِ إِلَى شَاطِئِ وَبَرِّ الأمَانِ، وَفَازُوا بِرِضَا اللهِ، وَنَالُوا أعْلَى الدَّرَجَاتِ مِنَ الجِنَانِ الَّتِي أعَدَّهَا اللهُ لِعِبَادِ الرَّحمَنِ. قَالَ صلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُوْدِ اللهِ والوَاقِعِ فِيْهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِيْنَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاهَا وبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الماءِ مَرُّوْا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوْا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيْبِنَا خَرْقَاً ولَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ تَرَكُوْهُمْ وَمَا أَرَادُوْا هَلَكُوْا جَمِيْعَاً، وَإِنْ أَخَذُوْا عَلَى أَيْدِيْهِمْ نَجَوا ونَجَوا جَمِيْعًا».

أيها المؤمنون:

نَكتَفي بِهذا القَدْرِ في هَذِه الحَلْقة، مَوعِدُنَا مَعَكُمْ في الحَلْقةِ القادِمَةِ إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى، فَإِلَى ذَلِكَ الحِينِ وَإِلَى أَنْ نَلْقَاكُمْ وَدَائِماً، نَترُكُكُم في عنايةِ اللهِ وحفظِهِ وأمنِهِ، سَائِلِينَ الْمَولَى تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَن يُعزَّنا بِالإسلام، وَأنْ يُعزَّ الإسلام بِنَا، وَأن يُكرِمَنا بِنَصرِه، وَأن يُقِرَّ أعيُننَا بِقيَامِ دَولَةِ الخِلافَةِ الرَّاشِدَةِ الثَّانِيَةِ عَلَىْ مِنْهَاْجِ النُّبُوَّةِ في القَريبِ العَاجِلِ، وَأَن يَجعَلَنا مِن جُنُودِهَا وَشُهُودِهَا وَشُهَدَائِها، إنهُ وَلِيُّ ذلكَ وَالقَادِرُ عَلَيهِ. نَشكُرُكُم عَلى حُسنِ استِمَاعِكُم، وَالسَّلامُ عَليكُم وَرَحمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُه.